قصة حديث كاتب الوحي الذي مات فلفظته الأرض

بقلم

أ٠ د٠ حمودة محمد داود

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

صادف هوى من نفوس المستشرقين القدامى والمحدثين وأذنابهم من المتعالمين ما رواه الحافظ ابن الحافظ والامام ابن الامام أبو بكر بن أبى داود ـ صاحب السنن ـ عبد الله ابن سليمان بن الأشعث السجستانى فى كتابه المصاحف ـ أهم كتب التراث ، لأنه المرجع الوحيد فى موضوعه الذى بين أيدينا ، وغيره مما كان موجودا الى عهد الامام السيوطى ـ كما ذكر فى مقدمة اتقانه ـ قد فقد وأصبح أثرا بعد عين ، ما رواه بسنده الى أنس بن مالك أن رجلا كان يكتب لرسول الله ﷺ ، فكان اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب سميعا عليما ، واذا أملى سميعا عليما كتب سميعا بصيرا ، وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان من قرأها قرأ قرآنا كثيرا فتنصر الرجل وقال : انما كنت أكتب ما شئت عند محمد . قال : فمات فدفن فلفظته الأرض ، ثم دفن فلفظته الأرض . قال أنس : قال أبو طلحة : فأنا رأيته منبوذا على وجه الأرض .

فقام أحدهم ـ وهو المستشرق الاسترالى آرثر جفرى ـ بتحقيق الكتاب لا خدمة للتراث الاسلامى ولكن للتشكيك فى النقل الكتابى للقرآن الكريم الذى شهد الله فيه بصحته فى

قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) حيث ان الكتاب بمعنى المكتوب بين الدفتين ، ومن عجيب صنع الله عز وجل وسخريته بأعدائه ، أن هيأ للمستشرق هذا أسباب اخراج الكتاب وتحقيقه ، وجعل من ذلك تشجيع أحد كبار علماء الاسلام فى عصره له ، وهو العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية فى دار الخلافة العثمانية ، وصاحب النسخة المخطوطة للكتاب المحفوظة بدار الكتب المصرية ، فراجع معه كل ملزمة من الأصل قبل الطبع ، وساعده مساعدة قيمة لاسيما فى مسائل الأسانيد · - انظر المصاحف ص ١٧ من المقدمة - ، كل ذلك مع ما فى مقدمة الكتاب من كثير من الزيف والأباطيل ، وكثير من السموم التى دسها لتسميم أفكار المسلمين · هكذا مكر المستشرق ، فمكر الله به وهيأ له الأسباب لاخراج الكتاب مع ما فيه من الزيف لعلمه تعالى بأنه سيكون لهذا الكتاب علماء ينفون عنه تحريف الغالين وتشكيك المبطلين ·

ولسبب ما سكت العلامة الكوثرى عما وضعه جفرى فى مقدمة الكتاب وأثناء التحقيق من البهتان والأباطيل ، قد يكون لاخراج هذا الكتاب على نفقة المستشرق ، وترك الحكم للعلماء على غثه وثمينه ، وهذا ما نرجحه احسانا بالظن بالكوثرى فتراثه يشفع له ، وقد يكون لأنه ظن أن اخراج الكتاب بهذه الصورة التى يريدها جفرى يقوى رأيه فى ابن أبى داود ويعاضده ، ذلك الذى أظهره فى كتاب له بعنوان « تأنيب الخطيب » ويعنى به ، الخطيب البغدادى وتأنيبه فيما

رآه من تعديل ابن أبى داود وتحدثه عنه بأنه امام أهل العراق وعلم العلم فى الأمصار ، وأنه كان فى وقته بالعراق مشايخ أسند منه ولم يبلغوا فى الآلة والاتقان ما بلغ هو . كان هذا رأى الخطيب البغدادى فى ابن أبى داود . أما الكوثرى فكان يرى فى ابن أبى داود غير ذلك الذى رآه الخطيب ، وألف كتابه التأنيب لاثبات ذلك فقيض الله من يدافع عن ابن أبى داود ، ويرد اتهامات الكوثرى ، وهو العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى رحمه الله تعالى الذى ألف كتابه « التنكيل بما فى تأنيب الكوثرى من الأباطيل » وقد فند فيه شبه الكوثرى فى ابن أبى داود وبين أن التهم التى رماه بها هى نفسها التى رمى بها ابن أبى داود من حساده ومنافسيه من المعاصرين له ، الذين لا يقبل قولهم بمقتضى قواعد الجرح والتعديل التى ترد الجرح اذا كان غير مبين السبب ولا تسمع كلام الأعداء بعضهم فى بعض . فضلا عن ذكر آراء علماء الجرح والتعديل فى ابن أبى داود التى هى بخلاف ذلك وتحصر توجه الاتهامات اليه من حساده وأعدائه فقط . هذا وتجدر الاشارة الى أن كتاب المعلمى هو من نشر المكتبة السلفية بلاهور - باكستان - سنة ١٩٨١ م وطبع المطبعة العربية بالمدينة المذكورة .

رأى الكوثرى - اذن - بعيد عن كتابة القرآن الكريم وصحة النقل بها ، ولأنه خطأ فقد قيض الله له من يبطله ،

حتى يكون الطعن فى صحة نقل القرآن الكريم كتابة باطلا من وجهين :

الأول : أن الطعن فى ابن أبى داود ليس من جهة روايته لأحاديث كتابة القرآن ، فلا ينبغى على فرض صحتها أن تتخذ دليلا على عدم صحة الرواية ٠

الثانى : أن هذه الطعون قد ثبت بطلانها ، وأصبح ابن أبى داود كأحد الرواة موثقا فينظر حال الرواة الآخرين فى أسانيده ، ويحكم على الروايات بحسب الدرجة التى يظهرها البحث فى الرواة ٠

وقد أثبت البحث الأخير فى أول الثمانينات أن رواة حديث الكاتب الذى مات فلفظته الأرض ، من رواة الصحيح فتكون الرواية صحيحة لتوثيق رواتها ، وهم : -

١ - عبد الله : هو ابن أبى داود صاحب كتاب المصاحف ، وقد تبين أنه من الثقاة الحفاظ ٠

٢ - يونس بن حبيب : هو ابن عبد القاهر بن عبد العزيز الأصبهانى ٠ وثقه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ، جـ ٩ ص ٢٣٧ ٠

٣ - أبو داود : هو سليمان بن أبى داود الطيالسى ، وثقه ابن حجر فى التقريب جـ ١ ص ٣٢٣ ٠

٤ - حماد بن سلمة : وثقه ابن معين فى تاريخه وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل جـ ٣ ص ١٤٠ ، ١٤١ ٠

٥ - ثابت : هو ثابت البنانى ثبت فى الحديث ثقة صدوق ،

من أثبت أصحاب أنس . الجرح ج ٢ ص ٤٤٩ .

٦ - أنس بن مالك : صحابى مشهور لا يحتاج الى توثيق بعد توثيق القرآن لهم والرسول ﷺ .كنيته أبو حمزة. توفى سنة ٩٢ هـ وله مائة سنة ، تقريب التهذيب ج ١ ص ٨٤ لابن حجر . واذا كان الكوثرى قد تحامل على ابن أبى داود ورماه بكثير من التهم الا أنه لم يتهمه فى هذه الرواية بخصوصها أو فى غيرها من روايات الكتاب التى أثبت تخريجها أنها فى مجموعها مقبولة، فان غيره من علماء الاسلام وأساطينه ، قد عدى الحكم الى روايات الكتاب خاصة هذه الرواية ، لتتحقق مقولة « لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة » .

ويتأكد الناس من انتفاء العصمة الا عن الرسول ﷺ ، وأنه لا ينبغى لهم أن يعرفوا الحق بالرجال ، وانما الرجال بالحق ، فبعد خمس وثلاثين سنة يطالعنا أحد أساتذتنا الأفذاذ الأستاذ الجليل محمد الصادق عرجون رحمه الله وأكرم مثواه فى مقال له بمجلة الوعى الاسلامى العدد الثانى والسبعين الصادر فى ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م برأيه الصريح فى هذه الرواية المذكورة فى مطلع هذا المقال فيقول :-

فالرجل أمام حبه للاغراب فى الروايات يخلط بين روايات من هنا وروايات من هناك ، فيعمد الى رواية جاءت على ألسنة قصاص السيرة ويخلطها برواية جاءت على ألسنة

بعض المفسرين فى معان مختلفة وأشخاص متعددة وأزمان متباعدة ويجعل منها قصة واحدة فى رواية واحدة ، فهو هنا يجىء بقصة ذكرها الطبرى وغيره من المفسرين عن رجل يدعى « محلم بن جثامة » قتل رجلا بعد ما حياهم بتحية الاسلام لاحن بينهم فى الجاهلية ٠٠ فمات ودفنوه ولفظته الأرض ، ويجعل منها ومن القصة التى تنسب فى بعض رواياتها الى عبد الله بن أبى سرح العامرى قصة واحدة ، وقصة ابن أبى سرح ليس فيها أنه تنصر بل فيها أنه ارتد ولحق بالمشركين ، وفيها سبب ذلك وهو قوله حين عجب من تفصيل خلق الانسان « تبارك الله أحسن الخالقين » وأنزل الله فى شأنه « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ٠٠٠ » الآية ٩٣ من سورة الأنعام ٠

ويقول الأستاذ : والحذاق من النقدة المهرة قد زيفوا الرواية التى تسند هذه القصة التى ورد فيها تكلم من سمع خلق الانسان وأطوار ابداعه بما ختمت به آيات ذلك الخلق الى عبد الله بن أبى سرح ، لأنها تتكىء على الكلبى فى سندها ، والكلبى زائف عند أئمة الجرح والتعديل ، والرواية الصحيحة تسند الموافقة فى انزال قوله تعالى « فتبارك الله أحسن الخالقين » الى المحدث صاحب الموافقات القرآنية الثابتة فى أكثر من موضع ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه روى ذلك الطيالسى فى مسنده عن عمر ٠

وقد زيف ابن كثير ما رواه ابن أبى حاتم من طريق جابر الجعفى عن عامر الشعبى عن زيد بن ثابت أن الذى قال ذلك « فتبارك الله أحسن الخالقين » انما هو معاذ بن جبل · فقال - أى ابن كثير - : وفى اسناده جابر الجعفى ضعيف جدا وفى خبره هذا نكارة شديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية ، وزيد بن ثابت انما كتب الوحى بالمدينة ، وكذلك اسلام معاذ بن جبل انما كان بالمدينة أيضا · فالله أعلم ·

ومع هذا فلم ينقل عن عمر ومعاذ فى الروايتين أنهما شكا أو أحدهما فى صدق الوحى ، لأنه من المعلوم بداهة أن التحدى انما وقع بسورة وأقصر سورة فى القرآن ثلاث آيات لا أربعة ألفاظ ·

ثم نقل الأستاذ نقد الشيخ رشيد رضا لروايتى الطبرى عن عكرمة والسدى وقوله فيه : وهاتان الروايتان باطلتان ، فانه ليس فى شىء من السور المكية « سميعا عليما » ولا « عليما حكيما » ولا « عزيزا حكيما » الا فى سورة لقمان ، والمروى عن ابن عباس أنها نزلت بعد الأنعام ، وأنها ختمت بقوله « عزيز حكيم » وهى وثنتان بعدها مدنيات ، وهذا نقد فنى محكم · « انظر ص ١٩ : ٢٥ من مجلة الوعى العدد (٧٢) » ·

وهذا الذى ذكره الأستاذ الشيخ اجتهادا أو نقلا عن غيره ، جيد فى بابه ، لكنه غير جيد فى هذا المقام ، فابن

أبى داود قد وثقه علماء الجرح والتعديل الذين يعتد بقولهم فى هذا الشأن ، بل قدمه بعضهم على أبيه فى الحفظ والاتقان وأبوه هو أبو داود صاحب السنن الذى ألين له الحديث كما ألين لداود الحديد على حد ما وصفوه به . وهذا المقام يحتاج الى الكلام فى الرواية من ناحية السند لتبيين درجتها أو النظر فى المتن للبحث عن علة قادحة كأن يخالف ما هو أصح منه ، لكن الشيخ لم يفعل ذلك ، ولذلك لم يتمخض حكمه عن شىء يعتبر .

وببحثنا للرواية من هاتين الجهتين تبين أن رواتها من رواة الصحيح ، فهى صحيحة ولا تخالف ما هو أصح منها ، فقد رواها البخارى من طريق أخرى سنذكر نصها فيما بعد ، وكلاهما يسند الرواية الى أنس وسياقهما يدل دلالة قاطعة على أن ذلك الكاتب مدنى ، وأن ذلك حدث فى المدينة ، ففيه عن الكاتب .. « وكان قد قرأ البقرة وآل عمران » وهما مدنيتان » وقد حفظ الله قرآنه فلم يدم ذلك التغيير ، بل تنصر الرجل وذلك يدعو الى مراجعة ما كتب وتصحيحه مكتوبا ، ومات ودفنه قومه فلفظته الأرض فعمقوا الحفرة وغيبوه مرة ثانية ظنا أن المسلمين هم الذين فعلوا ذلك به ، فلفظته الأرض مرة ثانية فزادوا فى تعميق حفرته واخفائها فلفظته الأرض للمرة الثالثة ـ كما فى رواية البخارى ـ فأيقن قومه أن ذلك ليس من أصحاب النبى ﷺ .

هذا وابن أبى داود كان معاصرا للطبرى أقدم المفسرين،

وكتابه المصاحف زمن تأليفه هو زمن تأليف الطبرى لتفسيره أو يكاد ، فلا يصح أن يتهم ابن أبى داود بالنقل عنه أو غيره وخلط الروايات المنقولة ، وكتاب التفسير لابن أبى داود متأخر فى تأليفه عن تفسير الطبرى وأكثره حديث وبين وفاتهما ست سنوات ، فالطبرى توفى سنة ٣١٠ هـ وابن أبى داود سنة ٣١٦ هـ ٠ ولو كان الحديث من كتابه فى التفسير لقلنا : لعله نقله من تفسير الطبرى ٠

كما أنه ليست رواية ابن أبى داود من المآخذ التى أخذها عليه أعداؤه وكانوا يتلمسون له العيب ٠

وتزييف الحذاق من النقدة المهرة للرواية التى تنسب تكلم ابن أبى السرح بختام آيات أطوار الخلق ، لا يلزم منه زيف رواية ابن أبى داود ، لأن هذه غير تلك ، ولم يسم الرجل فى رواية ابن أبى داود ٠

كما أن ما نقله عن الشيخ رشيد غير سديد فى النقد ، لأنه يجعل القصة مكية وقبل أن تنزل الآيات التى ختمت بـ « سميعا عليما » ، « عليما حكيما » ، عزيزا حكيما » فسياق الرواية أن القصة مدنية كما مر ، وعلى صحة قوله يجوز أن تكون الرواية على جعل النصب على أنها مفعول « قال » ولم تأت الرواية على الحكاية وهو الوجه الثانى من الاعراب الصحيح لغة ٠٠

ثم ان الروايتين اللتين نقدهما الشيخ رشيد ونسبهما

الى رواية الطبـرى عن عكرمة والسدى ، نقـلهما مشوش اذ هما فى أسباب النزول للسيوطى نقلا عن الطبرى ص٨٢ ، على خلاف ذلك وفى آخر الرواية الثانية نسبة الى ابن أبى السرح : قال محمـد : « سـميعا عليما » فقلت أنـا « عليما حكيما » .

ومعنى هـذا أنه كان يغير هكذا سـواء أكان اللفظان منصوبين أم مرفوعين أم مجرورين كما هو واقـع فى كثير من الآيات المكية .

وهكذا يأتى الضرر أحيانا من حيث يقدر الانسان النفع، فأستاذنا عليه رحمة الله ، فى غمرة الفرح بدفاعه عن القرآن الكريم ضد طعنات آرثر جفرى فى مقدمته لكتاب المصاحف ، ذلك الذى أجاد فى أكثـره ، نسى ما عليـه ابن أبى داود من مكانة ، وأوقع الشيطان فى نفسه تصـديق جفرى فى بعض ما كتب . والشيخ مأجور على كل حال فالأعمـال بالنيات . رحمه الله وغفر له ولنـا وجميع المسلمين .

أما رواية البخارى فهى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : كان رجل نصرانيـا فأسلم وقـرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبى ﷺ فعـاد نصرانيا فـكان يقول : ما يدرى محمد الا ما كتبت له ، فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض . فقالوا : هذا فعـل محمد وأصحابه ، نبشـوا عن صـاحبنا لمـا هرب منهم ، فألقـوه ، فحفروا لـه فأعمقوا فأصبح وقـد لفظته الأرض ، فقـالوا : هـذا فعـل محمد

وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر · فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه · الحديث رقم ٣٦١٧ جـ ١٤ فتح البارى ص ١٢١ - باب علامات النبوة فى الاسلام ·

هذا وختام رواية البخارى بقول أنس : فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه ، يتفق مع رواية ابن أبى داود التى ختمت بقول أبى طلحة ، فأنا رأيته منبوذا على وجه الأرض ·

واحقاقا للحق فلم أعثر على رواية البخارى بسعيى ، وانما الفضل لله تعالى وحده ، الذى شرفنى وخصنى بشرف العثور عليها ، فلم يدر بخلدى حين دراسة وتحقيق رواية ابن أبى داود ، أن هذه الرواية فى البخارى ، ولم يطلع عليها أستاذنا أو الشيخ رشيد رضا رحمهما الله تعالى ، اذ لو كانا قد اطلعا عليها ، لما فعلا ما فعلا فى رفض رواية ابن أبى داود ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء · ولا ينال بالكسب · وقد جاء العثور عليها بعد ما يقرب من خمس سنوات من دراسة رواية ابن أبى داود والحكم عليها بالصحة ، وذلك أثناء مراجعة متن الصحيح للتثبت من اسم أحد الرواة فى حديث آخر · وقد أفدت من ذلك ما ينبغى أن يكون عند كل باحث من الاطلاع والبحث المستمر ، فكم ترك الأوائل للأواخر ، ومن ظن أنه علم فقد جهل ·

بقى مما يتصل بموضوع هذا الحديث من جهة شبهة

بقاء لفظ مكان لفظ فى القرآن ، واباحة ذلك اذا لم يترتب على ذلك احالة للمعنى ، وهو ما تفيده رواية ذكرها السيوطى فى الاتقان عند تفسيره للمراد بنزول القرآن على سبعة أحرف . قال التاسع أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة .

... ويدل له ما أخرجه أحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة أن جبريل قال : يا محمد اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل : استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف ، قال : كل شاف كاف ما لم تختم آية « عذاب برحمة أو رحمة بعذاب ... » هذا اللفظ رواية أحمد واسناده جيد . وأخرج أحمد والطبرانى أيضا عن ابن مسعود نحوه . وعند أبى داود عن أبى « قلت : سميعا عليما عزيزا حكيما ، ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب » .

... ويقول السيوطى : وعنده أيضا - يعنى الامام أحمد عطفا على رواية له - من حديث عمر « أن القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا أو عذابا مغفرة » أسانيدها جياد .

ثم نقل عن الطحاوى أن ذلك كان رخصة « لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ . وكذا قال ابن عبد البر والباقلانى وآخرون . (انظر الاتقان ج ١ ص ١٦٧ ، ١٦٨) .

ولا يخفى ما فى تسمية ذلك نسخا من التجاوز فى

التعبير اذ لا ينطبـق عليه شروط النسخ ، وغاية الأمـر أنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل لا نسخ فيه ٠

فنقد الكلام له أوجه أخرى غير ذلك الذى نقله السيوطى، كأن يقـال :

أولا : ان قول « ميكائيـل » عليه السلام ، اسـتزده ٠ بمعنى : اطلب له الزيادة ، فالسين والتـاء للطلب ، وطلب جبريل الزيادة من الله حتى بلغ سبعة أحرف ، ولهذا فاختلاف الحروف وطـرق الأداء بتوقيف وليس بالهـوى والتشهى ٠ ويكون المراد بما فى رواية أبى داود عن أبى ، أن الخطأ من هذا القبيـل ، قلت سميعا عليما أو عزيزا حكيما ، كان مما يعذر فيه صاحبه فى أول الأمر ، وليس معنـاه اباحة وضع لفظ مكان لفظ بالهوى والتشهى والعمد ، كما ذكر الرافعى فى كتـابه « اعجـاز القرآن ٠٠ » قال : قال فهـذه الوجوه السبعة التى بها اختلفت لغات العرب قد أنزل الله باختلافها القرآن متفرقا فيـه ليعلم بذلك أن من زل عن ظاهر التلاوة بمثله أو من تعذر عليه ترك عادته اللغوية فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معـاقب عليه ، وكل هذا فيما اذا لم يختلف فى المعانى » أ هـ ص ٨٠ ط ٣ المقتطف ٠

ثانيا : ليس ما مثل به فى الحديث متفقا فى المعنى ، ولم يوجد فى القرآن فواصل متفقـة فى المعنى ، بل كل فاصـلة مطمئنـة فى موضعها غير نافرة ولا قلقة ، يتعلق معنـاها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما ، بحيث لو غيرت لاختـل المعنى

واضطرب الفهم ، وقد كان بعض أصحاب النبى ﷺ يكملون بطبعهم العربى فواصل بعض الآيات لو سكت عنها هنيهة من الوقت عند الاملاء للوحى ، وأحدهم فرق بطبعه بين كلام الله وكلام البشر الذى أخطأ به القارىء ٠

فقد ذكر السيوطى أن بعض الصحابة قد بادر بهذه الفاصلة « فتبارك الله أحسن الخالقين » فختم الآية بها قبل أن يمليها النبى ﷺ ٠ ونسب ذلك الى معاذ بن جبل ٠

وذكر أيضا أن اعرابيا سمع قارئا يقرأ « فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات » فاعلموا أن الله « غفور رحيم » ولم يكن يقرأ القرآن فقال : ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ، ومر بهما رجل فقال : كيف تقرأ هذه الآية ؟ فقال الرجل « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » فقال ، هكذا ينبغى ٠ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه اغراء عليه ٠ انظر ج ٣ ص ٣٤٧ ط هيئة الكتاب ٠

ثالثا : يختلف ما فى هذه الروايات مع بعض آيات القرآن الكريم وروايتى البخارى وابن أبى داود الصحيحتين اللتين تفيدان فضح أمر الكاتب الذى كان يفعل مثل ذلك بهواه ٠

ولذلك فالنظر العلمى يردها لمعارضتها لما هو أصح منها ٠ هذه الآيات هى :-

١ - (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر ٠٠) سورة النحل الآية «١٠١» فهى

تنسب التبديل الى الله تعالى وحده لا الى الرسول ﷺ أو غيره ٠

٢ - (فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه) سورة البقرة الآية « ١٨١ » وهى تؤثم من يبدل ما سمعه بغيره ٠

٣ - (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى) ٠ سورة يونس الآية « ١٥ » وتبين هى الأخرى أن التبديل بالهوى والغرض ليس مشروعا ، وان وجد فى بعض المواضع فقد جاء به الوحى ٠

٤ - (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته٠٠) سورة الكهف الآية « ٢٧ » وهذه تنفى قدرة أى أحد على تبديل كلمات الله لتكفله سبحانه وتعالى بحفظه كما فى الآية الآتية ٠

٥ - (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » سورة الحجر الآية « ٩ » ٠

وهى تبين تكفل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم حفظا وكتابة ٠

٦ - (ذلك الكتاب لا ريب فيه) سورة البقرة الآية « ٢ » وهى تبين أنه تعالى حفظ كتابه مكتوبا أيضا لا يتطرق اليه الشك ، فالكتاب بمعنى المكتوب بين دفتين ٠

٧ - (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين

ثم لقطعنا منه الوتين) سورة الحاقة الآية « ٤٤ »
وهذه الآية توعد الرسول بهذا الوعيد الشديد ، لو نسب الى الله غير ما يوحى اليه ، ولا يعقل أن يباح هذا لغيره صلى الله عليه وسلم . والآية التالية تنفى الايمان عمن ينسب القرآن الى الرسول ﷺ ، وهى :

٨ - (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) سورة الطور الآية « ٣٣ » .

★ وبعد فهذه قصة حديث كاتب الوحى الذى مات بعد أن تنصر . ولما دفن لفظته الأرض ثلاث مرات على الرغم من تغييب قومه لجثته فى الأرض واعماق حفرته حتى أيقنوا أن ذلك ليس من صنع بشر . وقد وقف المفكرون والباحثون من هذا الحديث ومدلوله موقفين متناقضين - كما رأينا - لم يجالفهما الصواب كليهما لتخلى أصحابهما عن أهم صفة من صفات الباحث ، وهى التخلى عن عاطفته ومذهبه حتى ينتهى من بحثه ، فالمستشرقون ويمثلهم « آرثر جفرى » المحقق الأول لكتاب المصاحف لابن أبى داود يودون أن يثبتوا للقرآن مثل ما ثبت للأناجيل من بشريتها وتحريفها عن الصفة التى نزل بها الانجيل على عيسى عليه السلام ، وكذلك التوراة ، فانطلق من نظره العابر الى ما ورد فى كتاب المصاحف عن كتابة القرآن وجمعه واختلاف مصاحف الصحابة والتابعين ، وخطوطها وتصحيح السلف لبعض أخطاء الكتاب الذى عده تغييرا فى المصحف انطلق من ذلك

الى التشكيك فى الحفظ الكتابى للقرآن الكريم وقراءاته - أيضا - موهما أنها هى الأخرى بالاختيار الناشىء عن الهوى والتشهى دون توقيف من النبى ﷺ .

أما علماء الاسلام - وكما رأينا أيضا - فقد أدى بهم النظر العابر كذلك وشدة عاطفتهم وغيرتهم على كتاب الله عز وجل الى التحامل على ابن أبى داود مؤلف كتاب المصاحف والطعن فى بعض رواياته وتضعيفها مع صحتها فى حقيقة الأمر ، وهكذا تضيع الحقيقة بين الافراط والتفريط والغلو والتقصير ، ويبلغ المبالغ فى الدفاع عن الشىء الى الحد الذى يضر به بدلا من أن ينفعه .

وهذا مما يثقل حمل الباحثين ويضع على عاتقهم مسئوليات فى كشف ذلك لطلاب الحقيقة ، والله الموفق والمعين . نسأله سبحانه ألا يؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وأن يضع عنا الاصر انه سميع مجيب ...

★ ★ ★

أ . د . حمودة محمد داود
أستاذ التفسير بالكلية